كتب قداسة البابا شنودة الثالث



من عظات

قداسة البابا شنوده الثالث

الجهاد والنعمة







كنيسة السيدة العذراء
محرم بك اسكندرية

الجهاد والنعمة

لقداسة البابا المعظم

الانبا شنودة الثالث


MP



قداسة البابا المعظم

الانبا شنودة الثالث

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة

تحوى هذه النبذة احدى محاضرات قداسة البابا المعظم الانبا شنودة الثالث التى القاها — واربعا اخرى غيرها — بالمؤتمر الاول لخدام التربية الكنسية بالاسكندرية عام ١٩٦٨ بكنيسة القديس مارمينا بالمندرة — وكان قداسته عندئذ أسقفا للتعليم — وقد سبق لمكتبة كنيسة السيدة العذراء محرم بك ان طبعت المحاضرات الخمس المذكورة طبعة اولى عام ١٩٧١ — وهو أول عام لتبوأ قداسته السدة الرسولية .

ولقد نفذت الطبعة الاولى لتلك المحاضرات وازاء الالحاح فى طلبها رأينا ان نقوم باعادة طبعها واحدة بعد الاخرى وها نحن نقدم الطبعة الثانية لهذه المحاضرة عن

الجهاد والنعمة

راجين الرب ان يجعلها لخير القراء ولبركة حياتهم وشركتهم فى الرب . ببركة صلوات قداسة البابا المعظم الانبا شنودة الثالث اطال الله حياته ورئاسته الكنيسة سنين عديدة وازمنة سالمة مديدة — آمين .

الكنيسة

الجهاد والنعمة

ان الاعتدال فى الامور الروحية ينقذ الانسان من سقطات كثيرة . وعيب الانسان انه فى بعض الاوقات يتحمس لنقطة معينة ، ويركز فيها كل فكره ، وينسى باقى النقط التى تتعلق بالموضوع ، وبهذا يخطىء .

الجهـــاد والنعمـــة معـــا :

كيف يخلص الانسان ــ هل بالجهـــاد وحده ام بالنعمـــة وحـــدها ؟ لا يمكن للانســـان ان يخلص بالجهـــاد وحده . فالسيد المسيح يقول : « بدونى لاتقدرون ان تفعلوا شيئا » يو ١٥ : ٥ . فمهما جاهدت ومهما تعبت لا يمكن ان تصل الى نتيجة بدون معونة من الله ــ وأيضا من جهة النعمة « ان الله لا يريدنا ان نكون مستلقين على ظهورنا ويعطينـــا الملكوت » كما قال يوحنا ذهبى الفم . « اذلك فالنعمة لا تفعل شىء » . فهى ليست مجالا للكســـل والتهاون والتراخى . فلا تتـــرك نفسك دون ان تعمل شيئا ، وتقول ان النعمة تعمل كل شىء . فهذا معناه انك تنام ولا تبذل اى جهد وتتهاون فى اداء واجباتك ثم تقول ان النعمة هى التى تعمل .

كان يشوع بن نون يقود جيش شعب الله ويحارب ، وفى نفس الوقت كان موسى النبى يقف على الجبل رافعا يديه بالصلاة حتى النصرة . فهل انتصر شعب الله عن طريق جيش يشوع أم عن طريق صلاة موسى ؟ يخطىء من يخص واحدة فقط من الاثنتين . لان يشوع وحده مهما حارب بدون صلاة موسى — أى بدون معونة الله — لا يمكن أن ينتصر . وصلاة موسى وحدها ليس معناها تشجيع شعب الله أن يتراخى ويتكاسل ويهرب من أمام العدو ، ويقول تكفى صلاة موسى . الجهاد والصلاة كانا سائرين سويا . هذا يجاهد فى الحرب ، وذاك يصلى الجهاد والنعمة متلازمان .

هناك عبارة جميلة لو فهمناها لفهمنا كثيرا عن النعمة والجهاد . تقول البركة الرسولية : نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم ٢ كو ١٣ : ١٤ **فما معنى عبارة « شركة الروح القدس » انها شركة بين اثنين** يعملان سويا : الروح القدس والانسان . فالروح القدس يقدر ان ينقذك وينجيك ولكنه لا يفعل هذا بمفرده ، وانما يريدك ان تشترك معه فى تدبير حياتك . تقول كيف هذا ؟ ان الروح القدس وحده يكفى ، اذن ما الفرق بين الذين خلصوا والذين لم يخلصوا .. بين الابرار والاشرار ؟ اذا كان الروح

القدس يعمل وحده كل شيء : فلمـاذا يوجد انسان خاطيء على الارض ؟ لماذا لم يتب هذا الخاطيء ويخلص ؟ لمـاذا لم يتوبه الروح القدس ان كان الروح القدس يعمـل وحده كل شيء ؟!

ان كان كل شيء بواسطة النعمـة وحدها ، فلماذا لا تعمل فى جميع الناس ؟ وبذلك لا يكون هناك خاطيء واحد فى العالم ، ان مجرد وجود انسان خاطيء واحد فى العالم دليل قوى على ان النعمة لا تعمل وحدها كل شيء ..

هل عمل النعمة معناه الغاء الحرية الشخصية ؟

ان الروح القدس يعمل فينا لاجل الخير . وبر الانسان ياتى نتيجة اتحـاد ارادته بعمـل النعمة ، نتيجـة شركة الروح القدس .. فارادتك تتحـد مع الروح القـدس فى خلاص نفسك ، وهذه هى شركة الروح القدس . والانسان يستطيع بارادته الحرة أن يوقف عمل الروح القدس فيـه . فالكتاب يقول : « لا تطفئوا الروح » ١ تس ٥ : ١٩ . ويقول أيضـا « لا تحزنوا روح الله » اف ٤ : ٣٠ والنعمـة واقفـة على الباب تقرع .. « ها أنذا واقف على الباب واقرع ، ان سمع احد صوتى وفتح الباب أدخل اليه وأتعشى معه وهو معى » رؤ ٣ : ٢٠ . فالنعمة تعرض معونتها عليك ، وأنت حر تقبل

أو لا تقبل .. تعمل أو لا تعمل .. اذا اشتركت مع الروح القدس فى العمل ، تصل بنعمة الروح القدس الى كمال القداسة . واذا رفضت الاشتراك فالنعمة وحدها لا يمكن أن ترغمك على الخير .

يتطرف كثير من الناس لدرجة أن كلمة الجهاد الشخصى تبدو كما لو كانت هرطقة ، كما لو كانت عملا ضد الايمان ، وضد معونة الله . وهذا خطأ . **فالنعمة عبارة عن سلاح يمكنك به أن تحارب لو اردت ويمكنك أيضا أن لا تحارب . فعلى حسب ارادتك واشتغالك بهذا السلاح يكون خلاص نفسك** . واحد مثلا فى الحرب أعطى دبابة وقنابل ومدافع وأسلحة وانتصر . فهل النصر راجع الى الاسلحة وحدها ؟ وهل الحرب كلها كانت متوقفة على السلاح فقط ؟ كلا ، لان السلاح وحده لا يعمل اذا لم يكن هناك الشخص الذى يعمل بالسلاح ، كذلك الانتصارات فى الحرب الروحية ، هى اشتراك مع نعمة الروح القدس التى هى السلاح .

ضرورة الجهاد :

كثيرة هى الايات التى تشرح ضرورة الجهاد .. وكمثال : يقول الكتاب : « اذلك نحن أيضا اذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا ، لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا

بسهولة **ولنحاصر بالصبر في الجهاد** الموضوع امامنا » عب ١٢ : ١ . يقول الرسول هذا ، ثم يوبخ العبرانيين قائلا : « **لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية** » عب١٢ : ٤

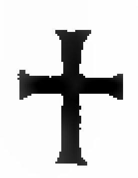
فالمفروض ان نجاهد ، وليس جهادا عاديا ، انما جهاد حتى الدم ضد الخطية . ثم الى متى هذا الجهاد ؟ يقول الرب : « الذى يصبر الى المنتهى فهذا يخلص » مت ١٠ : ٢٢ .

وهنا يعترض الذين يقولون بأهمية النعمة دون الجهاد بالاية القائلة : « ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل الله الذى يرحم » رو ٩ : ١٦ . ما معنى هذا ؟ هل رحمة الله هى التى تعطينا الخلاص المجانى ، وتنقلنا الى الملكوت ، بدون سعى وبدون مشيئة صالحة ؟ مستحيل !! . هل معنى هذا ان كل انسان ينام فى الخطية كما يريد ، ولا يسعى نحو الخير ، ولا يريده ، يرحمه الله ؟ كلا . فان بولس نفسه الذى كتب هذه الكلمات يقول : « **قد جاهدت الجهاد الحسن اكملت السعى** حفظت الايمان واخيرا قد وضع لى اكليل البر .. » ٢ تى ٤ : ٧ ، ٨ . ان الذى قال « ليس لمن يسعى » قد اكمل السعى ، ونال اكليل البر نتيجة لهذا السعى وهذا الجهاد الحسن .

بل ان بولس نفسه يقـــول اكثر من هذا : « السـتم تعلمون أن الذين يركضـون فى الميدان جميعهـــم يركضون ولكن واحدا يأخذ الجعالة هكذا **اركضوا لكى تنــالوا** » ١ كو ٩ : ٢٤ .

فكيف نركض ؟ والامر ليس لمــن يشاء ولا لمــن يســـعى !! « وما فائدة أن نركض ونجاهد ؟ كفــانى أن اجلس كما أنا ، وتأتينى النعمة من عنـــد الله وتنقلنى الى الملكوت ، دون أن أشاء ودون أن اسـعى !! » وهذا لا يكون ، اذ أن بولس يكمل ويقول « **وكل من يجــاهد يضبط نفسه فى كل شىء** أما اولئك فلكى يأخذوا اكليــلا يفنى وأما نحن فاكليلا لا يفنى . **اذا انا اركض هكذا** .. بل اقمع جسدى واستعبده حتى بعدما كرزت للاخرين لا اصير انا نفسى مرفوضا » ١ كو ٩ : ٢٥ — ٢٦ .

فبولس نفسه يركض ، بولس الذى كان ممتلئــا من الروح القدس ، الذى كانت تعمل فيه النعمة اكثر من الجميع ، هل كان محتاجا أن يركض ؟ .. نعم كان محتاجا ، لكى ينال . بل يقمع جسده ويستعبده حتى لا يصير هو نفسه مرفوضا . فان كان بولس الرسول يجــاهد ، ويخاف أن يركض ، فماذا نفعــل نحن ؟! .



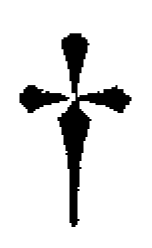
هل يقف الجهاد فى وقت ما ؟

لا يظن احد انه يمكن ان يسلم الانسان نفسه للنعمة ويؤمن ويخلص وكفي ـــ يقول البعض انه خلص وأنتهى الامر ، فما معنى كلمة « خلص؟ » اتعنى أن النعمة قد عملت فيه وخلصته وكفى ، فهو لا يحتاج للجهاد لانه قد ضمن السماء فى ابضلته !؟ ان هذا خطأ بلا شك ، لاننا نحتاج الى الجهـــاد حتى الدم كل ايام الحياة فليس معنى انك « تجددت وولدت ولادة جديدة » ان ينتهى جهادك ، فانت محتـــاج ان تقاوم حتى الـــدم . لان اناسا كثيرين بداوا بداءة حسنة، وانتهى بهم الامر الى الهلاك

يحدثنا بولس الرسول عن اشخاص « **بداوا بالروح واكملوا بالجسد** » غل ٣ : ٣ . فاين كانت النعمة عندما هلكوا ؟ لقـــد تركتهم لحرية ارادتهم . والرب لا يفرض الخلاص على احد ؛ ولا يرغمك على الخلاص. ان النعمة لا تمسك حياتك وترسلها الى ملكوت السموات بالاجبار . لان الانســـان ليس مسيرا نحو الخير يتحدث بولس الرسول عن ديماس انه تـــركه اذ احب العالم الحاضر ٢ تى ٤ : ١٠ . فاين كانت النعمة عندما هلك ديماس ؟ كانت موجودة لكنـــه لم يعمل معهـــا . ويقول بولس فى رسالته الى اهل فيلبى : « لان كثيرين يسيرون ممن كنت اذكرهم لكم مرارا والان اذكرهم ايضا باكيـــا وهم اعداء

صليب المسيح الذين نهـايتهم الهــلاك » فى ٣ : ١٨ ، ١١ . هؤلاء أشخاص كانوا أعمدة فى الكنيسة ، وكانوا من مساعدى بولس الاقوياء ، وكانت تعمــل فيهم النعمة بقوة ، لقــد نال هؤلاء الخــلاص ، ولكنهم فقدوه فى الطــريق ، وفقدوه الى الابد ، اذ يقول بولس : « ان نهايتهم الهلاك » .

اذن ليس كافيا أن تكون نعمة الله موجودة معنــا وانمــا لابد لنا أن نجاهد بكل قوتنا ـــ وصحيح « ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذى يرحــم » ، لكن من هم الذين يرحمهم الله ؟ أن الله يرحم الذين يشاءون ويسعون . قوة الله هى التى تعطيهم النصرة والغلبــة ، ولكنهم اذا لم يشاءوا ولم يسعوا يهلكون . لمــا تكلم بولس فى مســألة المتحيزين الى ابولس ، شرح أن المســألة ليست مسألة بولس ولا أبولس ١ كو ١ ، ٣ . لان واحدا غرس والاخــر سقى لكن الله هو الذى ينمى : « اذن ليس الغارس شيئا ولا الســاقى بل الله الذى ينمى » ١ كو ٣ : ٧ . فلابد من الغرس ومن الرى حتى ينمى الله . والله الذى ينمى هو الذى يرجــع اليه الفضل . ولكن ليس معنى هذا أن نمتنع عن الغرس والسقى .



الحــرب الروحيــة :

لنتأمل الكتاب المقدس عندما يصف لنا الحروب الروحية فى الاصحاح السادس من الرسالة الى أهل أفسس الذى يقول:

« أخيرا يا اخوتى تقووا فى الرب وفى شدة قوته ، البسوا سلاح الله الكامل لكى تقــدروا أن تثبتوا ضــد مكايد ابليس فان مصــارعتنا ليست مع دم ولحم بــل مع الرؤســاء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر ، مع اجنــاد الشر الروحية فى السماويات ، من اجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تقاوموا فى اليــوم الشرير ، وبعد أن تتمموا كل شى أن تثبتــوا فاثبتوا ممنطقين أحقــاءكم بالحق ولابسين درع البر وحاذين أرجلكم باستعداد انجيل السلام ، حاملين فوق الكل ترس الايمــان الذى به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة ، وخذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذى هو كلمــة الله . مصلين بكل صــلاة وطلبة كل وقت فى الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة لاجل جميع القديسين ولاجلى » أف ٦ : ١٠ ، ١٩ .

هنا مصارعة وهنــا حرب روحية ، اى أن هنــا جهادا ، والسلاح هو سلاح الله ، هو الايمــان ، هو الاعتماد على الرب . لكن ليس معنى ذاك اننــا لا نجاهد ، فالنعمــة هى

السلاح ، والجهاد هو الحرب جاهد اذن * واعتمد على الله فى جهادك ، والله سوف ينصرك . ولا تصبح مثل شخص أخذ ترس الايمان وخوذة الخلاص وسيف الروح ومنطقة الحق ودرع البر ووقف ساكتا لا يحارب . فكيف ينتصر ان لم يستعمل درع البر وسيف الروح الذى هو كلمة الله .

انها حرب وجهاد وقتال وصراع ، والاسلحة هى أسلحة الله، ولكن لابد لك أن تستخدمها وتحارب بها ، والا فستهزم . ان الاشخاص الذين نكرهم بولس باكيا كانت معهم الاسلحة الروحية ولكنهم لم يحاربوا ولم يجاهدوا ، ومالت نفوسهم نحو الخطية واستسلمت ، فهلكوا فى خطاياهم .

عندما حارب داود جليات الجبار ، كيف انتصر ؟ .. بقوة الله . قال له : « أنت تأتى الى بسيف وبرمح وبترس وانا آتى اليك باسم رب الجنود » ١ صم ١٧ : ٤٥ . فداود انتصر بسيف الله ، بقوة الله ومعونته . ولكنه حارب ، وانتخب له خمسة حجارة ملساء من الوادى ، وكان مقلاعه بيده ، وتقدم نحو الفلسطينى واخذ حجرا من الخمسة ورماه بالمقلاع ، وضرب الفلسطينى فى جبهته فسقط على وجهه الى الارض ١ صم ١٧ : ٤٠ . فداود حارب ، والله هو الذى نصره . لانه كان من الممكن ان الحصاة لا تاتى فى موضع قاتل بالنسبة

لجايات فلا يقتل . لكن الله اعطاه قوة وقتل الجبار . لذلك قال بولس : « ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذى يرحم » .

ويقول بولس الرسول أيضا : **« ان كان احد يجاهد لا يكلل ان لم يجاهد قانونيا »** ٢ تى ٢ : ٥ ، اذن لابد ان تجاهد ، وتجاهد جهادا قانونيا ، وبهذا تخلص . ويقول بطرس الرسول : « اصحوا واسهروا لان ابليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمسا من يبتلعه هو . **فقاوموه راسخين فى الايمان »** ١ بط ٥ : ٨ . اى جاهدوا ضده ، وليس بقوتكم بل راسخين فى الايمان ، اى قاوموه بنعمة الله . جاهد ولا تعتمد على ذراعك البشرية . جاهد بكل ما اعطيت من قوة ، معتمدا على نعمة الله ومعونته وفعل الروح القدس .

يقول البعض ان الجهاد هو ذراع بشرى — « وملعون من يتكل على ذراع بشرى » . والحقيقة ان الجهاد يصبح ذراعا بشريا ، لو اعتمد الشخص على ذاته فقط . لو كان يعتبر انه بمجرد جهاده فقط يخلص . هنا تقف امامه الاية القائلة : « لانكم بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئا » يو ١٥ : ٥ . ان بدون سلاح لا تصلح . وهذا ليس معناه ان الحرب لا قيمة لها ، بل معناه اننا عندما نحارب بدون سلاح — اى بدون نعمة الله ومعونته — فاننا لا ننتصر .

جهاد الرسل والرعاة :

وهل الرسل لم يجاهدوا ولم يتعبوا من أجل الايمان ؟ ان بولس الرسول نفسه يقول « أنا تعبت أكثر منهم جميعهم » ١ كو ١٥ : ١٠ . كلهم تعبوا ، وبولس تعب أكثر ، تعبا سجله فى رسالته الى كورنثوس ٢ كو ١١ : ٢٣ ، ٣٣ . فاذا كانت المسألة مجرد نعمة ، لماذا يتعب بولس ؟ وما لزوم الكرازة والوعظ والنصح والتبشير والرعاية والتعب ، فالنعمة تعمل كل شيء ؟ ! ولماذا ترعى وتفتقد وتجاهد وتتعب ذاتك ؟ أليس الله قادرا أن يتكلم فى قلوب الناس ويخلصهم وحده ؟! وما لزوم الرسل والرعاة والوعاظ ؟! وما لزوم كل جهاد ؟ هل هو اعتماد على ذراع بشرية ؟! لو كانت النعمة تعمل وحدها كل شيء ، فالكاهن ينام ويصلى ويقول « أنت يا رب ترعى شعبك . لماذا أجاهد ؟ لانه ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل أنت الذى ترعى الشعب » ! والواعظ ، لماذا يعظ ؟ يكفيه أن ينام فى البيت مستريحا ، ويقول « نعمتك يا رب تتكلم فى قلوب الناس وترشدهم وتخلصهم » ! وأنت لماذا تتعب نفسك فى حياتك الخاصة فى الصلاة وفى الصوم وفى الجهاد ؟ كفاك أن تكون مع النعمة ؟ هل ترمى نفسك فى الاوساط الشريرة وتقول « النعمة تخلصنى » ؟ ! هل تجلس فى مجالس المستهزئين وتسير فى طرق الخطاة وتقول « النعمة

لا تجعلنى أتأثر بهم » ؟! ولماذا يقول الكتاب « طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الاشرار وفى طريق الخطاة لم يقف وفى مجلس المستهزئين لم يجلس » ؟! مز ١ . أليس لان هذه الاشياء كافية بأن تبعده عن النعمة .

الايمـــان والاعمـــال :

ان مسألة الجهـــاد والنعمة بدخل فيهـــا مبدأ بروتستانتى خطير فمارتن لوثر يقول : « كن زانيا ، كن قاتلا ، كن فاجرا ، كن فاسقا ، لكن آمن فقط بالذى يبرر الفاجر وانت تخلص » — هذا الكلام صعب ! فالمسيح رفض الذين عن اليســـار اذ قال لهم « لانى جعت فلم تطعمونى . عطشت فلم تسقونى . كنت غريبـــا فلم تأوونى ، عريانا فلم تكسونى ، مريضـــا ومحبوسا فلم تزورونى » مت ٢٥ : ٤٢ . اذن من لا يعمل لن يخلص . ويقول الرب أيضـا : « كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يا رب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة فحينئذ أصرح لهم انى لم أعرفكم قط اذهبوا عنى يافاعلى الاثم » مت ٧ : ٢٢ ، ٢٣ . والعذارى الجاهلات قلن له : « ياسيد ياسيد افتح لنـــا » مت ٢٥ : ١١ . اذ قد كن يؤمن به ، ولكنـــه لم يفتح لهن بل طـــردهن قائلا : « الحـــق أقول لكـــن انى لا أعـــرفكن » مت ٢٥ : ١٢ .

فكيف هذا ؟ الا يكفى الايمـــان وحده ؟ ـــ كلا « فالايمـــان بدون أعمال ميت » يـــع ٢ : ٢٦ . والكتاب يقـــول ايضا : « اصنعوا أثمارا تليق بالتـــوبة » مت ٣ : ٨ . ما كان اسهل أن يقول « فلتصنع النعمة فيكم ثمارا » . ان الثمـــار تتكون فعلا بتدخل عمل النعمة . ولكن الرب لكى يثبت عمل الانسان معها ، قال « اصنعوا أثمـــارا .. » لذلك ان لم تعمـــل مع النعمة لا يمكن أن النعمة تخلصك .

قال القديس اغسطينوس : « ان الله الذى خلقـــك بدونك لا يمكن ان يخلصك بدونك » . فالله خلقك بدون عملك انت ، لكن عندما يخلصك لابد من عملك أنت معه . اذن آية « ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذى يرحم » تعنى ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بمفرده بدون عمل الله معـــه ، وبدون معونة من الله ، بدون شركة الروح القدس . ان الله يرحم الذين يشاءون ويسعون . ولابد أن تقول مع بولس «جاهدت الجهاد الحسن واكملت السعى » ، ولابد ان « تقاوم حتى الدم مجاهدا ضد الخطية » ولكن راسخا فى الايمان ومعـــك السلاح النعمة وبه تنتصر .

التداريب الروحيــة :

والذين يحــاربون الجهــاد ، يحاربون ايضــا التداريب الروحيــة .

ولماذا يحاربونها ؟ كما لو كانت هى أيضــا اعتمادا على ذراع بشرية ؟

طبعا لو سلك أنسان فى التدريب الروحى معتمــدا على قوته الخاصة يخطىء . جيدا أن يدرب نفسه ولكن على قــوة الله .

وبولس الرسول يتحدث هو أيضا عن تداريبه فيقول فى سفر الاعمال « لذلك أنا أيضا أدرب نفسى ليكون نى دائمــا ضمير بلا عثرة من الله والناس » أع ٢٤ : ١٦ . ويقول فى رسالته الى فيلبى « وفى جميع الاشياء قد تدربت، ان اشبع وأن أجوع وأن أستفضل وان أنقص » فى ٤ : ١٢ . تدرب فى كل شىء واصبحت له الحواس المدربة ! فلا مانع من أن يسلك الانسان فى التداريب الروحية غــير معتمد على ذاته وقــوته الشخصية ، بل على نعمة الله التى تعطى له .

وهنا بعد تمام الحديث ـــ نتطرق الى بعض الاسئلة التى قد تدور فى فكر الفــرد لنعرف ما هى الاجابة عليهــا فنزيد ثباتنا فى النعمة والجهاد :

السؤال الاول :

اذا كان الايمان وحده لا يكفى للخلاص فما الذى فعله اللص اليمين على الصايب حتى خلص ؟

الجـــواب :

لقد عمل اللص كثيرا : آمن بالرب فى ظروف قاسية جدا ، واعترف بهذا الايمـــان علانية ، الامر الذى لم يقـــدر عليه بطرس الرسول وباقى الرسل . واعترف أيضـــا بخطاياه لانه قال « نحن بعدل جوزينا » . ودافع عن الرب ، وبكت اللص الاخر . وأنا ــ فى هذا المجـــال ــ أسأل سؤالا هاما يسرنى أن أسمع الاجابة عليه وهو « ماذا كان بامكان هذا اللص أن يفعل أكثر من هذا ولم يفعله ؟ » ..

مجرد ايمان اللص لم يكن امرا سهلا . لو انه آمن بالرب، وهو يقيم الموتى ، ويشفى المرضى ، وينتهر الريح ، ويمشى على الماء ، ويعمل المعجزات الخارقة ، لقلنا ان تلك امورا واضحة لا تقبل الشك . ولكنه آمن بالمسيح وهو مصلوب ! آمن به وهو مهـــان ومحتقر من الناس ، وأمام الكل فى حالة ضعف ! يلطمونه ، ويبصقون على وجهه ، ويستهزئون به ، ويقولون له « تنبأ من لطمك » !

كانت المقاومات كثيرة من كل ناحية أمام هذا الايمان . ولو ان هذا اللص لم يؤمن ، لالتمس له الناس الاعذار ، فكيف يمكن أن يؤمن برجـــل مصاوب انه اله ؟! لابد أن اللص كان محتاجا الى جهاد كبير ليصل الى هذا الايمان مقاتلا الشكوك الكثيرة التى تقف أمامه وتكاد تلغى ايمانه ..

انشق حجاب الهيكل ، واظلمت الشمس .. فهل كان هذا كافيا للايمان ؟ على الرغـــم من ذلك لم يؤمن رؤساء الكهنة والكهنة والشيوخ والكتبـــة والفريسيون ، ولم يؤمن اللص الاخر .. يضاف الى هذا أن المسيح المصلوب يقول « الهى الهى لماذ تركتنى .. الامر يدعـــو الى الشك ، وخاصـــة بالنسبة الى لص نشأ فى بيئة معينة ..

من أين أتاه اذن هذا الايمـــان ؟ هل النعمـــة عملت فيه ؟ واذا كانت النعمة قـــد عملت فيه ، فلماذا لم تعمل فى اللص الاخر ؟ على الرغم من أنهما فى حالة واحدة وفى مركـــز واحد وستنتهى حياتهما بعد فترة وجيزة ؟ فلماذا لم تخلص النعمة اللص الاخر كما خلصت الاول ؟ قطعا كانت النعمة تعمل فى الاثنين . ولكن الذى آمن أستسلم لعمل النعمة وقبله ، وقاوم الشكوك والشيطان ، وجاهد . بينما الاخر الذى لم يؤمن ، لم يجاهد ، واستسلم للشكوك والعثـــرات ، ورفض . فلم

يدخل اللص ملكوت الله لمجرد ايمانه فقط ، بل لجهاده ايضا ضد الشكوك التى كانت كافية لان تعثره وتبعده عن الايمان. ان الجهـــاد ليس قاصرا على التطـــاحن والتشاجر ، ولكن هناك جهاد داخلى كجهاد اللص ، الذى جاهد ضد الشكوك والافكار والتجاديف .

كل من يقول ان اللص لم يجـــاهد ، يبدو انه لم يتخيـــل ويتصور الموقف الذى احاط باللص ، ذلك الموقف الذى اعثر فيه جميع الناس حتى التلاميذ الذين قـــال لهم الرب « كلكم تشكون فى فى هذه الليلة » مر ١٤ : ٢٧ . لقد ضرب الراعى فتبددت الرعية كلهـــا !! ولم يستطع ان يقف الى جـــوار الصليب الا المريمات ويوحنـــا الحبيب فقط ! ينبغى اذن ان نعرف ان جهاد هذا اللص كان من اعظم انواع الجهادات !

السؤال الثانى :

ما هـــو التعليم بالاختيـــار الذى فيه يتم عمـــل الخلاص بالنعمـــة ... ؟

الجـــواب :

طبعا لا يمكن ان نتكلم عن الجهاد والنعمة بدون ان نتكلم عن الاختيار . فما هو الاختيار ؟ وما علاقته بالاية التى تقول

« أرحم من أرحم واتراءف على اتراعف » رو ٩ : ١٥ ؟ هل معناه أن الله **اختار** أشخاصا **معينين** للملكوت ؟ وما هو المقصود بقوله فى سفر الاعمال : « وآمن جميع الذين كانوا معينين للحياة الابدية » اع ١٣ : ٤٨ .

لكى نفهم ذلك يجب أن يكون لنا ايمان سليم مبنى على اسس ثابتة . فلابد أن نؤمن أن الله عادل وليس عنده ظلم البتة ، وان كان غير عادل فلا نؤمن به . وما دام الله عادلا فهل من المعقول أن يختار اشخاصا معينين للخلاص ؟ فاذا كان الله يرحم من يرحم ويتراءف على من يتراءف ، ويترك الباقين للهلاك ، اذن فهو ظالم ! ولكن الكتاب المقدس يرد على مشكلة الاختيار بآية واضحة تقول « **الله يريد ان الجميع يخلصون والى معرفة الحق يقبلون** » ١ تى ٢ : ٤ . اذن فما معنى الاختيار ؟ ان الله يدعو جميع الناس لانه يريد ان الجميع يخلصون . انه لم يختر ولم يحب نوعا معينا من الناس او مجموعة معينة أو « المختارين » فقط ، ولكنه أحب الجميع اذ يقول الكتاب : « هكذا أحب الله **العالم** حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك **كل من يؤمن به** بل تكون له الحياة الابدية » يو ٣ : ١٦ . وفى حادثة رؤيا كرنيليوس يقول الكتاب : « ففتح بطرس فاه وقال : بالحق انا أجد أن الله لا يقبل الوجوه **بل فى كل امة الذى يتقيه ويصنع البر**

مقبول عنده » أع ١٠ : ٣٤ ، ٣٥ . **« وكل من يدعــو باسم الرب يخلص »** أع ٢ : ٢١ . فهو لم يختر جمــاعة معينة ، والا يكون ظالما ، بل يريد أن الجميع يخلصون . لذلك قدم خلاصا مجانيا كاملا لجميع الناس هذا الخلاص ليس لنا فضل فيه ، ولا دخل للجهاد فيه ، لاننا « متبررون مجانا بنعمته » رو ٣ : ٢٤ .

ولكن هــل خلص الجميع ، بهذا الخلاص المجــانى المقدم للجميـــع ؟

يقول يوحنا الرسول : « وان أخطأ أحد فلنا شفيع عنـــد الاب يسوع المسيح البار وهو كفارة ليس لخطايانا فقط بل **لخطايا كل العالم أيضاً »** ١ يو ٢ : ١ . فـدم المسيح الذى سفك على الصليب كاف لغفران خطايا العــالم كله ، فهل خلص العالم كله ؟ كلا ، لم يخلص العــالم كله . لانه يوجد أناس آمنوا بالخلاص وقبلوه ، وآخرون رفضوه ولم يؤمنوا به فأمر خلاصك يتوقف اذن على اتفاق ارادتك مع ارادة الله وقبولك للخلاص . لذلك قال المسيح له المجد « يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الانبياء وراجمـــة المرسلين اليها كم من مرة **أردت** أن اجمع بنيك كما تجمع الدجــاجة فراخها تحت جناحيهــا **ولم تريدوا هــوذا** بيتكم يتــرك لكم خــرابا »

مت ٢٣ : ٣٧ فالجميع مدعوون للخلاص ، ولكن الله لا يرغم أحدا على القبول . لذلك عندما دعا للعرس دعا الجميع . حتى غير المستحقين دعاهم أيضا للعرس ودعاهم للخلاص. يقول الكتاب : « ثم قـال لعبيده أما العرس فمستعد وأما المدعون فلم يكونوا مستحقين » مت ٢٢ : ٨ .

يقول الكتاب عن عمل النعمة هذا المثل : « خرج الزارع ليزرع وفيما هو يزرع سقط بعض على الطريق وآخر على الاماكن المحجرة وآخـر على الشوك وآخـر على الارض الجيدة .. » مت ١٣ : ٣ ـ ٨ . لم تأت كل البـذار بثمر ، ليس لان البذار رديئة ، حاشا ، لانها كلمة الله الصـالحة ونعمة الاله العـاملة . ولكن لان النعمـة وحدها لا تكفى : فعندما أتت الى القلب الحجرى لم تأت بثمر . وعندما اتت حيث لم يكن له عمق أو أصل ، نبت قليلا ثم جف النبـات ، وفى موضع آخر طلع الشوك وخنقه ، هكذا اهتمامات العالم وحاجياته خنقت الزرع المقدس . فلابد أن تبعد عن الشوك لكى تخلص نفسـك ، لا تجلس فى مجالس المستهزئين ولا تسر فى طريق الخطاة ، متكلا على عمل النعمة . لان النعمة لا تخلصك ، ما لم تشترك معها فى تخليص نفسك ، وتجاهد كثيرا . مثلما فعلت المرأة نازفة الدم لكى تخلص : جاهدت وسط الجمع المزدحم حتى وصلت الى المسيح ولمست هدب

ثوبه فشفيت فى الحال . وأيضا مثلما فعل زكا اذ تسلق الشجرة حتى رآه المسيح وخاصه ، ولم يمنعه من ذلك مركزه وكرامته .

فالمسيح مستعد ان يأتى اليك اذا طلبته ولم تقصر فى جهادك ولو فرض أنك قصرت فلماذا لم تخلصك النعمة من التقصير ؟ لنفرض أنى خاطىء واريد ان أتوب ، فهل تأتى التوبة بارادتى أم بالنعمة ؟ ان كانت بالنعمة فلماذا لم تتوبنى ، والله يريد أن الجميع يخلصون ؟! ربما لانى طلبت ولم أعمل ما يتفق وعمل النعمة . فلابد ان نكافح ، محاربين بسلاح النعمة لذلك قال بولس الرسول : « لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية » عب ١٢ : ٤ . وقال أيضا : « أقمع جسدى واستعبده حتى بعد ماكرزت للاخرين لا اصير أنا نفسى مرفوضا » ١ كو ٩ : ٢٧ . فحتى بولس كان ممكنا ان يصير مرفوضا ، على أن المسيح ظهر له والنعمة عملت فيه بقوة . لابد من أن يجاهد الانسان ، فالجهاد هو استخدام لسلاح النعمة .

السؤال الثالث :

هل توجد فترات يمكن أن تفارق فيها النعمة الانسان المجاهد ؟

الجـــــواب :

النعمة لا تفارق الانسان مفارقة كلية ولكنهـــا جزئية الى حين . فأحيانا اذا تكبر الانسان تفارقه النعمة ، فيسقط ، ويشعر بضعفه ، فلا يعود للكبرياء ثانيـــة ، وفى ذلك يكون هذا التخلى نوعا من أنواع العلاج . وأحيانا تفارقه قليـــلا كنوع من السياسة الالهيـــة : حتى يتشوق الى النعمـــة ، ويطلبها ، وينمو فى الصـــلاة ، ويشكر الله على استجابة طلباته ، ولا يتهاون ، ويجاهد ، وغير ذلك .

ولربنا كل مجد وكرامة آمين ..

